بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

الدكتور أحمد بن سالم المنظري

مدير منظمة الصحة العالمية

لإقليم شرق المتوسط

أمام

الدورة السابعة والستين للّجنة الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، القاهرة، جمهورية مصر العربية

12-13 تشرين الأول/ أكتوبر 2020

أصحابَ المعالي، وأصحابَ السعادةِ أعضاءَ اللجنةِ الإقليمية،

أخي العزيز تيدروس أدحانوم، المديرَ العام لمنظمة الصحة العالمية،

السيدات والسادة رؤساء البعثات الدبلوماسية وممثلو الهيئات الأممية والمنظمات المجتمعية،

إخواني وأخواتي الحضور،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

بادئ ذي بدء، اسمحوا لي أن أتقدَّم، وباسمكم، إلى جميع الشعوب في إقليمنا وفي العالم أجمع، بأحرّ التعازي والمواساة في ضحايا جائحة كوفيد-19، وما نجم عنها من أضرارٍ صحيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ كبيرةٍ فرضَت نفسَها بقوّةٍ على نُظُمِنا وبُلدانِنا في وقتٍ كنّا فيه في أمسّ الحاجة إلى الاستقرارِ والأمنِ والطُّمأنينةِ والسلام. كما أتقدَّم بخالص التعازي وصادق المواساة إلى سمو الشيخ

نواف الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، وإلى الكويت -حكومةً وشعباً- في وفاة المغفور له بإذن الله الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، داعياً المولى عز وجل أن يجزيه خير الجزاء على ما قدَّمه للكويت وللأمة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء، وأن يلهمكم الصبر والسلوان. كنت أود أن أقف دقيقة صمت ترحما على أرواح ضحايا الجائحة، ولكن سبقني إلى ذلك معالي الوزير الدكتور سعيد نمكي.

وبعد التعزية، أتقدَّم بخالص التحية وأسمَى آيات الإشادة والتقدير لكم ولكافة العاملين في القطاع الصحي الذين كانوا، وما زالوا، خطَّ الدفاعِ الأول في مواجهة الجائحة، ونذروا أنفسَهم دون تردد أو تذمّرٍ لتقديم أقصى ما يستطيعون من خدمات طبية وصحية ونفسية للمصابين وذويهم، وسقط منهم العديد من الضحايا الذين نحتسبهم عند الله من الشهداء والصديقين، وحَسُنَ أولئك رفيقا.

أمّا بعد،

أيها الإخوة والأخوات المشاركون جميعاً، أحيِّيكم وأشكرَكم على حضوركم الكريم ومشاركتكم معنا اليوم في هذه القاعة أو عبر الشاشات في هذا اللقاء السنوي الذي نستعرض فيه عملَنا خلال العام الذي انقضى منذ لقائنا السابق، ونناقشُ ما اعترض سُبلَ نشاطنا من تحدّيات أو صعوبات، ونقف على ما حققناه من إنجازات أو واجهناه من إخفاقات.

إن الفترةَ الماضية، على وجه التحديد، قد اكتسبت أهميةً خاصةً، إذ كان العالم أجمع، ونحن جزءٌ منه، مُنشغِلاً بمواجهة جائحة كوفيد-19 التي بدأت في الظهور بعد أسابيعَ قليلة من لقائنا السابق، واستمرت معنا إلى اليوم، ولا نعلمُ على وجه اليقين متى سنُعلن، بإذن الله، انتصارنا النهائي عليها وتغلُّبنا على الآثار التي خلَّفتها في مختلف مجالات حياتنا.

ولهذا، حَرَصْنا قدرَ الإمكان على أن نجعل جائحة كوفيد-19 محورَ عملِنا في هذه الدورة، كي نضمنَ، بإذن الله، توحيد رؤانا في هذا الإقليم، وتقريبَ أساليب عملِنا واستراتيجياتنا، وتنسيق جهود استجابتنا وتكثيف مواجهتنا، وتحقيق أقصى استفادة من الخبرات المتاحة، وتيسير تبادل التجارب والمعلومات والدروس المستفادة، والوقوف صفاً واحداً لمجابهة ما قد تؤدي إليه من أضرار على نُظُمنا الصحية والمستفيدين من خدماتها، مُستنيرين في ذلك برؤية الإقليم 2023 (الصحة للجميع وبالجميع)، التي تدعو إلى التضامن والعمل، ومُستعينين بما تعوَّدْناه دائماً من قِيم التعاون والتآخي والتعاضد والتآزر والتضامن.

أصحاب المعالي والسعادة، الأخوات والإخوة الحضور،

تعلمون أنه قد بدأ تسجيل إصابات كوفيد-19 في إقليمنا في 29 كانون الثاني/يناير من هذا العام. وفي اليوم التالي، أُعلِنَت الفاشية طارئة صحية عامة تسبب قلقاً دولياً تأثرت بها جميع الدول الأعضاء بدرجات متفاوتة، ولم يَسلم من تأثيرها أحد. وبلغ إجمالي عدد الإصابات المسجَّلة في الإقليم حتى يوم 10 تشرين الأول/أكتوبر 2020 قرابة 2.607.179 إصابة، بمعدل قدره حوالي 355 إصابة لكل مائة ألف من سكان الإقليم البالغ عددهم قرابة 731 مليون نسمة. كما نجم عنها 66.515 وفاة مُسجَّلة بمعدل قدره 2.5 وفاة لكل مائة إصابة.

واستجابة لهذه الجائحة، تأهبت الدول الأعضاء ومنظمة الصحة العالمية والشركاء منذ اكتشاف الحالات الأولى. ووضعت المنظمة خطة استجابة إقليمية، وأُنشئ فريق إقليمي لدعم إدارة الأحداث من أجل توجيه الاستجابة وتنسيقها. وأُنشِئت فِرَقُ دعمٍ قُطريةٌ على المستوى الإقليمي لتقديم الإرشادات إلى جميع بلدان الإقليم. وعلاوة على ذلك، شكّلنا مجموعة وزارية من سبعة بلدان تترأسها معالي الدكتورة هالة زايد، وزيرة الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية، وتدعمها فرقة عمل تقنية بهدف إجراء مزيد من التحليلات المتعمقة لطرق الاستجابة للجائحة في الإقليم وتقديم أفكار وتصورات لتحسين مختلف مجالات الاستجابة لتكون أكثر انسجاماً مع احتياجات البلدان. وعلى مدار الأشهر الماضية، تحققت إنجازات كبيرة على الصعيدين الإقليمي والقُطري في مكافحة الجائحة. حيث أُوفِدت 57 بعثة من بعثات النشر المفاجئ في حالات الطوارئ لدعم البلدان في شتى أنحاء الإقليم. وأُرسِلت 324 شحنة من إمدادات كوفيد-19 تَزن 1600 طن إلى 108 بلدان من مركزنا اللوجستي في دبي، منها معدات وقاية شخصية لحماية 3 ملايين عامل صحي. وبفضل الدعم المُقدَّم من المنظمة، يوجد الآن في جميع بلدان الإقليم أكثر من 400 مختبر قادر على إجراء اختبارات كوفيد-19. وحصلت البلدان على توجيهات تقنية تفوق مائة وثيقة، وعُقدت 80 جلسة تدريبية إلكترونية لتعزيز قدرات آلاف المهنيين الصحيين في طائفة كبيرة من المجالات، منها الاستجابة السريعة، والوقاية من العدوى ومكافحتها، والتدبير العلاجي السريري، والإبلاغ عن المخاطر والمشاركة المجتمعية، وغيرها. وأما رسائل الإبلاغ عن مخاطر كوفيد-19 التي نُشرت على منصاتنا الإقليمية بمواقع التواصل الاجتماعي فقد حظيَت بمشاهدات بلغَت 1.2 مليار مشاهدة في الفترة من شباط/فبراير إلى أيلول/سبتمبر 2020، مقابل 980 ألف مشاهدة خلال الفترة نفسها من العام الماضي. ومن أجل إطلاع وزراء الصحة على أحدث التوجيهات والسياسات والتوصيات الجديدة الصادرة عن المنظمة بشأن كوفيد-19، أُرسِل أكثر من 220 رسالة من المدير الإقليمي مباشرةً.

وبوجه عام، كانت استجابتنا لجائحة كوفيد-19 في الإقليم مدعومة بمساهمات سخيّة مُقدَّمة من جهات مانحة وبلدان في الإقليم وخارجه، وبلغ مجموع تلك المساهمات ما يقرب من 400 مليون دولار أمريكي. وأود في هذا الصدد أن أشكر جميع المساهمين على سخائهم.

وعلى الرغم من كافة الإجراءات الوقائية التي اتُّخِذَت، والتدخّلات الصحية والطبية، والتفاعل والتعاون الرسمي والشعبي المنقطع النظير الذي شهدته جميع الدول الأعضاء دون استثناء، فقد كشفت الجائحة، بكل أسف، عن تصدّعاتٍ خطيرةٍ ومَواطنَ ضعفٍ عميقةٍ في المؤسسات والاقتصاديات والنُّظم الصحية، بل وفي المجتمعات والعَلاقات في جميع أنحاء العالم.

ولم يكن حالُ إقليمنا بأحسنَ من غيره، خاصةً إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروفَ المعقَّدة التي تعيشها العديدُ من الدول الأعضاء في هذا الإقليم، وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني، وانتشار النزاعات المسلحة والحروب الأهلية والكوارث الطبيعية المتنوّعة، وارتفاع نسبة الفقر والنزوح السكاني في الداخل والخارج، وكثرة عدد اللاجئين وغير ذلك؛ وهي أمور كانت، ولا تزال، تبعث جميعُها على القلق، والخوف من تفاقم الأوضاع سُوءاً، وقد تقود، لا قدَّر الله، إلى تطوراتٍ يصعب السيطرةُ عليها أو مواجهتها مجتمعةً في المرحلة القادمة، خاصةً إذا أمعنّا النظر في الآثار الحقيقية التي ترتبت أو ستترتب على هذه الجائحة على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية.

وأعتقد أن الكثيرين منكم يعلمون أن الاقتصاد العالمي سيخسر ما يقرب من 8.5 تريليون دولار من الناتج خلال العامين المقبلَين جرّاء تلك الجائحة، وهذا يعني فيما يعنيه القضاء على جميع مكاسب السنوات الأربع السابقة تقريباً. كما يُتَوقَّع أن تتسبب الجائحة في سقوط ما يزيد على 34 مليون إنسان تحت خط الفقر المدقع بحلول نهاية هذا العام، ولكم أن تتخيلوا مقدار التداعيات السلبية الكبيرة المحتملة لهذين المثالين فقط.

أما على مستوى الإقليم، فمن المتوقعِ أن ينكمشَ الاقتصادُ بنسبة 4.7%، بل وقد يصل هذا الانكماشُ إلى 13% في البلدان التي تشهد حالات طوارئ، وهو ما يُمثِّل خَسارةً إجمالية قد تتجاوز حسب التقديرات 152 مليار دولار، وستضيف إلى جانب المعاناة القائمة أعباءً جديدةً، وقد تدفع بالدول الأعضاء إلى اتخاذ تدابير اضطرارية تؤثر سلباً على كافة مناحي حياة السكان في هذا الإقليم.

الأخوات والإخوة،

إن أوراقَ العملِ التي ستُعرَض في هذه الدورة ستُسلِّطُ الضوءَ على ما أحدثته الجائحة، أو ما يُتوقَّع أن تحدثه، لا سيّما أثَرَها على الخدمات الصحية، وكيفية ضمان استمرار تلك الخدمات في أثناء

الجائحة، وضمان توفير الأدوية الأساسية واللقاحات والمنتجات الطبية، والبحث في مستجدات التأهب لكوفيد-19 والتصدّي لجائحته في الإقليم.

ونأمل أن يُشكِّلَ لقاؤكم في هذه الدورة المهمة، وما سيجري فيها من مناقشاتٍ ومداولاتٍ واستعراضٍ للدروس المستفادة في دولكم، وما ستُثيرونه من تساؤلات أو تقترحونه من مخارجَ أو توصيات – نأمل أن يُشكِّل ذلك إطاراً عاماً لعملنا في المرحلة المقبلة التي، كما أشرتُ، قد لا تكون أقلّ صعوبة مما واجهناه حتى الآن.

وأتوقّعُ أن كثيراً من الحاضرين يتذكرون حديثي إليكم في لقائنا السابق في تشرين الأول/أكتوبر الماضي في طهران، والذي أشرتُ فيه بوضوح إلى أن هذا الإقليم، رغم صعوباته وتحدياته، إقليمٌ غنيٌّ، ولله الحمد، بتاريخه وحضاراته وتراثه، وغنيٌّ كذلك بموقعه الجغرافي ومُناخه وثرواته الطبيعية وطاقاته البشرية، وجميعها عوامل يمكن أن تُسهِمَ، إذا تضافرت الجهود المخلصة، في التقليل من الآثار السلبية للجائحة، وتخفيف معاناة الناس.

لذلك وجب علينا أن نجعلَ من هذه الكارثةِ فرصةً حقيقيةً لإعادة صياغة سياساتنا واستراتيجياتنا الصحية بما يضمن التطبيقَ الخلّاق لرؤيتنا في الإقليم، رؤية 2023، القائمة على أسس التضامن والتعاون من أجل تحقيق الصحة للجميع وبالجميع.

الأخوات والإخوة،

إن التصدّي لجائحة كوفيد-19 قد طغى خلال الفترة الماضية على كافة أنشطتنا، وقد يظل كذلك لفترة قادمة، ولكن ينبغي ألا يتسبب ذلك في إغفال بقية الجوانب الصحية أو إهمال الأهداف الصحية المرسومة، فالعملية الصحية عملية متكاملة متداخلة، وهي كلٌّ لا يتجزأ ويؤثرُ بعضها في البعض الآخر تأثيراً كبيراً.

وهنا اسمحوا لي أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء أن أُشيرَ إلى الفجوات التي نعاني منها في بلوغ الغايات المليارية الثلاث لبرنامج العمل العام الثالث عشر، وإلى ضرورة العمل بدأبٍ لإنجاز مساهمة إقليمنا في هذه الأهداف العالمية، لا سيما في الهدفين الأول، وهو التغطية الصحية الشاملة، والثالث، وهو التمتع بحياةٍ صحية أفضل، فما زالت الفجوةُ كبيرةً جدا بين المُخطَّط له والمُنجَز في هذين الهدفين، مقارنةً بالهدف الثاني وهو حماية الأشخاص من الطوارئ الصحية، الذي يسير، حتى الآن، بحَسْب الخُطَّة المقرّرة ولله الحمد.

أمّا على مستوى البرامج الصحية، وأخصُّ بالذكر منها برامجَ الرعاية الصحية الأولية، ولا سيما برامجُ التلقيح وصحة الأسرة وتحسين جودة الرعاية الصحية وغيرها، فأودُّ الإشارةَ الى أهمية

المحافظة على ما تحقَّقَ فيها من إنجازاتٍ في كافة بلدان الإقليم، وآملُ ألّا يأتي اهتمامنا وتركيزنا على الجائحة على حساب تلك البرامج حتى لا نُفاجأ بانتكاساتٍ غيرِ محمودة العواقب. وأنا واثق أنكم رأيتم بأعينكم كيف أن استجابتنا للكارثة كانت تتناسب مع درجة نجاحنا في بقية البرامج الصحية، ولذلك يجب ألا نفرّط في ما تحقق من نجاح لأسباب يمكن تلافيها في وقتها.

ومن هنا، فإنني أدعوكم جميعاً إلى اعتبار هذه الجائحة محطةً لتقويم أيّ اعوجاج في مسيرتنا الصحية، ولتحليلِ مَواطن الضعفِ والقوةِ في أنظمتنا الصحية، ولإطلاق العنان لعملية حوارٍ وعملٍ على نطاق واسع يشترك فيها أكبرُ عددٍ ممكن من العلماء ورجال الفكر والمبدعين وكافة شرائح المجتمع لإبداء الرأي وتقديم النُّصْح والمشورة والمشاركة الفاعلة في التحليل الموضوعي لأساليب عمل القطاع الصحي في كل دولةٍ على حدة، وكذلك على المستويين الإقليمي والعالمي، وذلك بهدف استخلاص الدروس والعبَر، واستنهاض الفكر، واستغلال الطاقات والقدرات، واستشراف المستقبل، ومعالجة مَكامن الضعف الهيكلية في المجتمعات والمؤسسات في مختلف القطاعات ذاتِ الصلة بالصحة، بما يلبّي الاحتياجات الحالية والمستقبلية لدول الإقليم وشعوبه، وبما ينسجم مع خطة التنمية المستدامة 2030 وباقي الخطط الوطنية والإقليمية.

وفي الختام، أتقدَّم مجدداً بالشكر الجزيل إليكم، أعضاء اللجنة الإقليمية، وإلى العاملين في القطاع الصحي حيثما وُجدوا، وإلى موظفي المنظمة في مختلف مستوياتها، وإلى شركائنا وحلفائنا، ومَنْ وقف ويقف معنا في النهوض بالعمل الصحي لتحقيق الأهداف الوطنية والإقليمية والعالمية، مُؤكداً لكم أننا في منظمة الصحة العالمية سنستمر في الوقوف دائماً إلى جانب الإنسان حيثما كان، وسنقدِّم إلى دولنا الأعضاء أقصى ما يمكن تقديمه من دعم تقني واستشاري وغيره.

أتمنى لدورتنا كل النجاح والتوفيق، سائلاً اللهَ تعالى أن يسدد على طريق الخير خُطانا جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.